إسهامات الأستاذ مصطفى السباعي في التأريخ للاستشراق و الحوار مع المستشرقين "كتاب الاستشراق و المستشرقون أنموذجا"

The contributions of Professor Mustafa Sibai in the history of Orientalism and dialogue with orientalists

د. عيساوي محمد*، جامعة المسيلة (الجزائر)
mohammed.aissaoui@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2020/06/22 تاريخ القبول: 2020/07/20 تاريخ النشر: 30/09/2020

ملخص:

يعالج المقال إشكالية محورية مضمونها إسهامات الأستاذ مصطفى السباعي في مجال التأريخ للاستشراق،والحوار مع المستشرقين،والتي انبثقت عنها جملة من الإشكاليات الفرعية،تدور حول أبرز مواقف المفكرين العرب من ظاهرة الاستشراق،وآثار المستشرقين في فكر البعثات العلمية العربية إلى أوربا،وموقف الأستاذ السباعي من الاستشراق.وللإجابة عن الإشكالية الرئيسة وما تفرع عنها،تم الرجوع إلى مؤلفات مصطفى السباعي وعدد من المراجع المتخصصة؛وتم التطرق إلى جملة من المباحث الرئيسة أهمها ترجمة موجزة للأستاذ مصطفى السباعي،وجهوده في رصد المواقف المفكرين من الاستشراق،ومعرفة موقفه منها،بالإضافة إلى التأريخ للاستشراق ودوافعه،وتصنيفه لفئات المستشرقين بحسب أهدافهم،ووسائلهم،وبيان موازين البحث عند المستشرقين في بحوثهم ودراساتهم،كما تم التطرق إلى الرحلة العلمية التي قام بها الأستاذ مصطفى السباعي إلى الجامعات الأوربية والتقى فيها برواد المدارس الاستشراقية.ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أهمية شهادة شاهد العصر في بلورة موقف موضوعي من الاستشراق والمستشرقين عبر آلية الحوار والنقاش العلمي بالحجة والبينة الذي انتهجه مصطفى السباعي،وضرورة تثمين جهود الاستشراق المنصف للحضارة العربية الإسلامية.

كلمات مفتاحية: مصطفى السباعي، التأريخ ، الحوار ، الاستشراق، المستشرقون.

*- المؤلف المرسل

المنارة للاستشارات
ww

Abstract:

The article deals with a central problematic issue whose contents are the contributions of Professor Mustafa Al-Sibai in the field of history for Orientalism and dialogue with orientalists, and the most prominent positions of Arab thinkers about the phenomenon of Orientalism, and the effects of Orientalists in the thought of Arab scientific missions to Europe, were addressed, and a number of topics were discussed, the most important of which is the history of Orientalism Its motives, classification of orientalists, and explaining the balance of research among orientalists. The scientific journey undertaken by Professor Mustafa Al-Sibai to European universities was highlighted.

Keywords: Mustafa Al-Sibai; History; Dialogue; Orientalism; Orientalists.

- **مقدمة**:

شهدت الساحة الثقافية العربية في الفترة الحديثة والمعاصرة في المشرق العربي بروز كوكبة من المفكرين العرب المسلمين أخذت على عاتقها المنافحة عن الحضارة العربية الإسلامية،والذود عن حياض القيم الإسلامية،ومن جملة أولئك الأستاذ مصطفى السباعي،والذي أسهم في إثراء المكتبة التاريخية بعدد من المؤلفات الرصينة،كما انخرط في مسار التعليم الجامعي الذي اتخذه منبرا موازيا لبث التوجيه والتوعية،ومن أهم المجالات التي انشغل بها فكره ،و جاد بها يراعه هو نقد الاستشراق،و بناء على ما سبق يقف الباحث على الإشكالية الرئيسة لهذه الدراسة وفحواها:ما هي أبرز الإسهامات العلمية التي قدمها شاهد العصر الأستاذ مصطفى السباعي في مجال الدراسات النقدية للاستشراق؟ويتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة جملة من الإشكالات الفرعية الجوهرية منها: ما هي أبرز مواقف المفكرين العرب التي عايشها ورصدها الأستاذ مصطفى السباعي في مصر؟هل تأثرت البعثات العلمية العربية المصرية بالآراء الاستشراقية؟ما هي أبرز الجوانب التي تميزت بها دراسة الأستاذ مصطفى السباعي عن غيرها من الدراسات النقدية الاستشراقية؟ما هي أبرز الشخصيات التي تأثر بها الأستاذ مصطفى السباعي في دراسته للاستشراق؟ما هو موقف الأستاذ مصطفى السباعي من الاستشراق؟ وما هي أبرز الشخصيات الاستشراقية التي أجرى

المنارة للاستشارات

ww

معها الأستاذ مصطفى السباعي الحوار؟ و كيف كانت طريقة عرضة للاستشراق؟وللإجابة على هذه الإشكالية تم انتقاء أنموذج من مؤلفات الأستاذ مصطفى السباعي والموسوم ب"الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم،وتم دراسته وفق المنهج التاريخية بآلياته التحليلية و المقارنة .

أما أهم الأهداف المتوخاة من هذه الدراسة فتتمثل في : الاحتفاء بالأستاذ مصطفى السباعي وجهوده النقدية حول الاستشراق،وبيان أهمية شاهد العصر في نقد الاستشراق،وهذا بما سجله الباحث من مساجلات و حوارات في التي احتضنتها كراسي الدراسات الشرقية في أوربا،والحض على بلورة موقف وسطي من الظاهرة الاستشراقية وعلاقتها بالتاريخ الإسلامي، ولا ننسى تمحيص آراء الأستاذ مصطفى السباعي ومقارنتها بغيرها من الآراء .

1.السيرة الذاتية والعلمية للأستاذ مصطفى السباعي:

يجدر بالباحث تخصيص سيرة موجزة للأستاذ مصطفى السباعي،ونبذة موجزة عن أهم مؤلفاته،وخاصة تلك المتعلقة بالاستشراق والمستشرقين .

1.1سيرة الأستاذ مصطفى السباعي الذاتية :

ولد مصطفى السباعي بمدينة حمص(سوريا)عام 1334هـ /1915 م،وهو سليل أسرة عريقة وبيت علمي منذ مئات السنين،وكان أجداده يتولون الخطابة في الجامع الكبير بحمص جيلا بعد جيل،وكان لأبيه مجالس علمية مع لفيف من فقهاء المدينة يجتمعون فيها،و يتدارسون الفقه ويتناقشون في أدلة مسائله[1]،ولقد تأثر في بداية حياته بالأستاذ محب الدين الخطيب،كما كانت مقارعة الاستعمار الفرنسي محور خطب ابنه مصطفى السباعي ومحاضراته بصفة عامة،حتى كانت له خطبة في الجامع الكبير بحمص عام 1932م"ألهب فيها الشعور وهيَّج الجماهير "غير عابئ بالأحكام العُرفية وأوامر المفوض السامي،فألقت السلطات الفرنسية القبض عليه وأودعته السجن لبضعة شهور،ولم يلبث حين تم الإفراج

[1] - عدنان محمد زرزور،مصطفى السباعي،دار القلم، ط 02 ،دمشق،سوريا،1424هـ/2003 م،ص ص 101 -103.

المنارة للاستشارات
ww

عنه أن غادر حمص والتحق بالدراسة بالأزهر عام 1933م ليدخل في مرحلة جديدة من مراحل حياته التي اختلط فيها الكفاح بطلب العلم.[1] والتحق مصطفى السباعي طالبا بكلية الشريعة بالأزهر الشريف،وتوجَّ دراسته بالحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ في تخصص الفقه والأصول،وكانت رسالته بعنوان السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي و تم مناقشتها في 24 جمادى الآخرة 1369هـ الموافق ل1950/04/12م،وبعد حياة حافلة بالإنتاج العلمي توفي ظهر يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الأولى الموافق للثالث من تشرين الأول (أكتوبر)1964م .[2]

2.1 مؤلفاته:

ألف الأستاذ مصطفى السباعي عددا من المؤلفات المهمة و من أشهرها وأكثرها تداولا:

- مِن روائع حضارتنا :و عرض فيه نماذج من روائع الحضارة العربية الإسلامية وهذا في الجانبين المعنوي والمادي.[3]
- السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي :

سخر الأستاذ السباعي قلمه في هذا الكتاب للذود عن السنة النبوية الشريفة من شبهات المستشرقين،وهو عبارة عن رسالته في الدكتوراه،و تمت طباعتها عدة مرات.[4]

- المرأة بين الفقه والقانون:

يحتوي هذا الكتاب على الدفاع عن كرامة المرأة وحقوقها المشروعة،وإبعادها عن مجال الاستغلال بما يرهقها و يؤدي إلى شقائها،رجاء أن لا تقع فيما وقعت فيه أختها في الحضارة الغربية.[1]

---

[1] - عدنان محمد زرزور،المرجع السابق ، ص 117.

2 - نفسه، ص ص 531.

[3] - مصطفى السباعي،من روائع حضارتنا، دار الوراق، ط01،بيروت،لبنان، 1420هـ/ 1999م،ص ص 80، 82 .

[4] - مصطفى السباعي،السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،دار السلام،ط 03،القاهرة،مصر،1427هـ/ 2006 م،ص177.

المنارة للاستشارات

- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم:

وهو عبارة عن بحث موجز عن الاستشراق والمستشرقين،صغير في حجمه،عظيم في معانيه.[2]

- السيرة النبوية دروس وعبر :

وأصل هذا الكتاب محاضرات مفصلة على طلاب السنة الأولى في كلية الشريعة بدمشق.[3]

2.الاستشراق في اهتمامات الأستاذ مصطفى السباعي:

أفرد الأستاذ مصطفى السباعي كتابا في الاستشراق،كما خصص فصلا كاملا حول"الاستشراق والسنة النبوية"في كتابه"السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"فما هي سمات الكتابين؟وماهي أهميتهما في الدراسات الاستشراقية؟

1.2. كتاب السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي وأهميته في الدراسات الاستشراقية:

يكتسي هذا الكتاب أهمية بالغة في الدراسات الإسلامية الاستشراقية،فلا يزال الباحثون والدارسون منذ أن نشر هذا الكتاب،يُعوّلون عليه ويرجعون إليه في التأريخ العلمي للسنة النبوية،وبيان حجيتها،وفي الدفاع عنها في وجه الشبهات والمطاعن التي قامت في وجهها قديما وحديثا،و هذا بعد أن لمسوا فيه"سلامة المنهج،وقوة الاستنتاج،ووضوح الدليل."[4]

2.2. كتاب "الاستشراق و المستشرقون مالهم وما عليهم" و أهميته الدراسات الاستشراقية :

---

[1] - مصطفى السباعي،المرأة بين الفقه و القانون،دار الوراق، ط07،الرياض،السعودية،1420هـ/ 1999م،ص 08.

[2] - مصطفى السباعي،الاستشراق والمستشرقون،دار السلام، ط04، القاهرة ، مصر ، 1434هـ/ 2013م،ص ص 05، 06.

[3] - مصطفى السباعي،السيرة النبوية دروس وعبر،المكتب الإسلامي،بيروت،لبنان،1405هـ/ 1985 م،ص ص 11- 13 .

[4] - عدنان محمد زرزور، المرجع السابق،ص ص359، 360.

المنارة للاستشارات

تم تأليف هذا الكتاب بعد كتاب السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، بدليل إحالته إليه في مواضع من كتابه"الاستشراق والمستشرقون" متى استدعت الضرورة إلى ذلك.[1] وهو محل الدراسة والبحث.

3.2 . تقويم أعمال الدراسات السابقة في منظور الباحث مصطفى السباعي:

تطرَّق الدكتور مصطفى السباعي إلى أهم المؤلفات التي سبقته في مجال البحث عن الاستشراق حيث قال:"الاستشراق والمستشرقون بحث لم يعن أحد من الكاتبين بأمرهما عناية علمية واسعة،تبحث عن تاريخ الاستشراق،وأهدافه،ومراميه،وحسناته،وسيئاته،وعن المستشرقين وطوائفهم وأعمالهم وما أصابوا وما أخطأوا فيه من أبحاث ومؤلفات،وكل ما كُتب في هذا الموضوع لا يخلو عن أن يكون تمجيدا لهم مثل كتاب"المستشرقون"للأستاذ نجيب العقيقي،أو أن يكون كشفا موجزا عن أهدافهم التبشيرية والاستعمارية،وأهم بحث في هذا الشأن محاضرة قيّمة للأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية في الجامع الأزهر ألقاها في قاعة المحاضرات الكبرى الأزهرية."[2]

ونستنتج من خلال هذا التقويم النقدي الذي أبداه مصطفى السباعي،أنه لا توجد دراسات سابقة شاملة حول موضوع الاستشراق،تتحرى بيان الجوانب الإيجابية والسلبية،باستثناء كتابين مهمين أحدهما عبارة عن تراجم للمستشرقين،وإنتاجهم العلمي للأستاذ نجيب العقيقي(1916- 1982م)[3]،وأبدى فيه مؤلفه انبهارا بأعمال المستشرقين وإشادة بإنتاجهم،والآخر عبارة عن محاضرة وصفها بوصف**"القيمة"**للأستاذ محمد

---

[1] - مصطفى السباعي،الاستشراق و المستشرقون مالهم وما عليهم ، ص ص 09 .

[2] - مصطفى السباعي، المرجع السابق ، ص 07.

[3] - يعد نجيب العقيقي نفسه من المستشرقين اللبنانيين الموارنة (المدرسة المارونية) وقد ترجم لنفسه في موسوعته (المستشرقون) من بين ثمانية وثلاثين 38 مستشرقا لبنانيا مارونيا،أنظر :نجيب العقيقي،المستشرقون،دار المعارف، ط03، القاهرة، مصر،1964م،ج03 ،ص 1081 .

المنارة للاستشارات
ww

البهي(1905م-1982م)[1]،وعند البحث نجد أنه قد قامت بطبعه مطبعة الجامع الأزهر،وهذا بعنوان"المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام"تحت إشراف الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بطباعتها،ويوضح فيها محمد البهي أن:"الاستشراق والتبشير كلاهما دعامة للاستعمار في مصر والشرق الإسلامي،فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية،والغضّ من اللغة العربية الفصحى،وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية والإسلامية." [2]

3.2. ردود أفعال رواد الفكر العربي من الاستشراق في منظور الأستاذ مصطفى السباعي :

رصد الأستاذ مصطفى السباعي ثلاثة مواقف متباينة شهدتها الساحة الثقافية العربية آنذاك من ظاهرة الاستشراق،ولا تزال إلى وقتنا الحالي؛وأولها موقف مفرط في الثقة والثناء المطلق على أعمال المستشرقين،حيث قال عنهم:"وقد أفرط منا أناس في الثقة بهم،والاعتماد عليهم والثناء المطلق على جهودهم ويمثل هؤلاء المعجبين بهم الدكتور طه حسين من أوائل تلاميذ المستشرقين في تاريخنا الأدبي المعاصر"[3]،حيث يتساءل ويقرر في مقدمة كتابه"الأدب الجاهلي":"وكيف نتصور أستاذا للأدب العربي لا يُلِمُّ ولا ينتظر أن يُلِمَّ بما انتهى إليه الفرنج(المستشرقون)من النتائج العلمية المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة؟،وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس،ولا بد من التماسه عندهم؛حتى يُتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ونطير بأجنحتنا،ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا."[4] ولم يكتف مصطفى السباعي ببيان هذا الموقف،والاستشهاد بأحد رُوّاده في الفكر العربي بل قام بتحليله وبيان حقيقته،ونشأته بقوله:"ولا ريب في أن هذا الكلام يُمَثِّل طورا من أطوار العبودية الفكرية التي مررنا بها في مطلع نهضتنا العلمية

[1] - الأستاذ الدكتور محمد البهي(1323هـ / 1402هـ)(1905م/1982م):أستاذ الفلسفة والعقيدة في جامعة الأزهر ،وزير الأوقاف المصري السابق،ومن أشهر مؤلفاته : تهافت الفكر المادي التاريخي،طبقية المجتمع الأوربي،الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.

[2] - محمد البهي،المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام،مطبعة الأزهر،الجامع الأزهر،الإدارة العامة للثقافة الإسلامية،مصر،د.ت،ص 01.

[3] - مصطفى السباعي،المرجع السابق،ص 07.

[4] - طه حسين،في الأدب الجاهلي،مطبعة فاروق،ط03،القاهرة، مصر،1352هـ / 1933م ،ص 11.

المنارة للاستشارات
ww

والفكرية الحديثة وهذه العبودية تتمثل في كتاب طه حسين نفسه"في الأدب الجاهلي"الذي كان ترديدا مُخلِصًا لآراء غلاة المستشرقين المتعصبين ضد العرب والإسلام أمثال مرجليوث الذي نقل آراءه كلها في كتابه"الأدب الجاهلي"،ونسبها إلى نفسه وليس له في الكتاب رأي جديد نتيجة بحث علمي قام به أو تعب في سبيله. " [1]

وعند البحث والتقصّي عن مدى صحة ما ذهب إليه السباعي من أحكام وآراء حول الموقف الأول نجد أن الأديب المصري طه حسين قد"ردَّدَ" فعلاً بإخلاص آراءه في مسألة الشعر الجاهلي من"غلاة المستشرقين المتعصبين"وأبرزهم مرغليوث[2] في كتابه"أصول الشعر العربي"[3]وقد أثبت ذلك جملة من النقاد والباحثين، وأولهم مصطفى صادق الرافعي[4]،وعبد الرحمان بدوي،[5]ويحي وهيب الجبوري،[6]وإبراهيم عوض مترجم ودارس كتاب أصول الشعر العربي[7]،ومحمود محمد شاكر،[8]وناصر الدين أسد[1]وبالتالي تتوافق نظرة السباعي مع فحول

---

[1] - مصطفى السباعي،المرجع السابق،ص08.

[2] - ديفيد صمويل مرغليوث(1858م-1940م) : مستشرق إنجليزي له من المؤلفات "محمد ونشأة الإسلام"،و"العلاقات بين العرب واليهود"،ونشر متعدد لكتب التراث مثل معجم الأدباء لياقوت الحموي،و رسائل أبي العلاء المعري،و نشوار المحاضرة للتنوخي. عبد الرحمان بدوي،موسوعة المستشرقين،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط05،بيروت،لبنان، 2015 ، ص 546.

[3] - ديفيد صمويل مرغيلوث،أصول الشعر العربي، ترجمة وتعليق ودراسة إبراهيم عوض،دار الفردوس، 1427هـ/ 2006م ،ص ص 117-118.

[4] - محمد صادق الرافعي،تحت راية القرآن، دار الكتاب العربي،ط07،مصر، 1394هـ/ 1974 م، ص ص 167- 173.

[5] - عبد الرحمان بدوي،دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،1979م، ص ص 11-14.

[6] - يحي وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، ط01،بيروت،لبنان،1997م ، ص 48-54.

[7] - ديفيد صمويل مرغيلوث،المرجع السابق ، ص 117-118.

[8] - أنور الجندي،المساجلات والمعارك الأدبية ، مكتبة الآداب،القاهرة ،مصر،1429هـ/2008م،ص 102-113.

المنارة للاستشارات
ww

التحقيق والترجمة للآراء الاستشراقية البريطانية حول قضية الشعر الجاهلي،وبخصوص وصف المستشرق مرغليوث(D.S.Margoliouth) بصفة"التعصب".فبعد الرجوع إلى الموسوعات المتخصصة في تراجم المستشرقين وعلى رأسها موسوعة المستشرقين،نرى أن مؤلفات مرغليوث حسب عبد الرحمن بدوي:"تسري فيها روح غير علمية ومتعصبة مما جعلها تثير عليه السخط ليس فقط عند المسلمين،بل وعند كثير من المستشرقين."[2]

وبادر مصطفى السباعي ببيان مثال آخر يعبر عن تأثر وانبهار بالآراء الاستشراقية،بل ونقلها من المستشرقين ولم يقم بالإشارة إلى أصحابها حيث قال:"ويمثل هؤلاء أيضا الأستاذ أحمد أمين في كتابيه"فجر الإسلام"و"ضحى الإسلام"وقد بينت ما في فصل الحديث من كتاب فجر الإسلام من سرقة لآراء المستشرقين دون أن ينسبها إليهم في كتابي"السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي[3] ومن هؤلاء أيضا:"علي حسن عبد القادر في كتابه نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي؛وهو ترجمة حرفية لما كتبه جولد زيهر في كتابيه"دراسات إسلامية"و"العقيدة والشريعة في الإسلام"[4]وكذلك كان كسابقيه غير أمين حين نسب هذه الآراء إلى نفسه،ولم ينسبها إلى أساتيذه المستشرقين." [5]

ولعل الأستاذ علي حسن عبد القادر استفاد من الوصية التي أوصاه بها الأستاذ أحمد أمين في بث الآراء الاستشراقية،حيث أكد هذا الأخير بأن"الأزهر لا يقبل لا يقبل الآراء العلمية الحرة،فخير طريقة لبث ما تراه مناسبا من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة،ولكن ادفعها للأزهريين على أنها بحث منك،و البسها ثوبا رقيقا لا يزعجهم

---

[1] - ناصر الدين أسد،مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية،دار الجيل،بيروت،لبنان،1988م،ص ص 377- 428.

[2] - عبد الرحمن بدوي،موسوعة المستشرقين،ص546.

[3] - مصطفى السباعي،الاستشراق و المستشرقون مالهم وما عليهم، ص 08،09 ؛ مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 221.

[4] - إيجناس جولدتسيهر،العقيدة والشريعة في الإسلام،ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون،المركز القومي للترجمة،القاهرة،مصر،2013،ص 43 .

[5] - مصطفى السباعي،الاستشراق و المستشرقون مالهم وما عليهم، ص 09.

المنارة للاستشارات
ww

مسّها،كما فعلت أنا في فجر الإسلام و ضحى الإسلام"،وهذا ما سمعه الأستاذ مصطفى السباعي من الدكتور علي حسن يومئذ نقلا عن الأستاذ أحمد أمين."[1]فهل يتوافق الأسلوب الذي وصّى به الأستاذ أحمد أمين مع أدبيات البحث العلمي والتوثيق؟ و الإجابة بالطبع تكون بالنفي، فلا بد من إحالة الآراء إلى قائليها، ونسبة المؤلفات إلى كاتبيها.

ويقول الأستاذ مصطفى السباعي بخصوص مسوغات العمل النقدي الذي قام به:"فإذا نقدنا آراءه وبينا ما فيها من تشكيك بالسنة وتحريف للحقائق الإسلامية،فلن نكون ممن يتصيدون التهم لإيقاع بريء في شباك الجريمة،بل ممن يجمعون الأدلة للتحقيق مع متهم أحيط بالشبهات،على ضوء هذه الحقيقة سيكون نقدي لما جاء في فجر الإسلام عن السنة وتاريخها،و قد كنت نشرت في هذا المعنى أبحاثا مستفيضة في حياة الأستاذ أحمد أمين،واطلع عليها واعترف بأنها أو ل نقد علمي لكتابه فجر الإسلام."[2]

ولم يكن الموقف الأول حكرا على طه حسين وأحمد أمين،بل هناك مِن روّاد الفكر العربي مَن تعصّب وتبنّى هذا الموقف"المنبهر"بالاستشراق على حد تعبير الباحث علي إبراهيم النملة،ومن أبرزهم زكي مبارك،ومحمد يوسف موسى،ونجيب العقيقي،وميشال جحا،ومحمد أركون،وصادق جلال العظم،وهاشم صالح،وقد عبر هذا الرأي نجيب العقيقي بقوله:"...تناولوا تراثنا بالكشف والجمع والصون والتقويم والفهرسة،ولم يقفوا منه عندها،فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات،وإنما عمدوا إلى درسه وتحقيقه،ونشره وترجمته،والتصنيف فيه،في منشئه وتأثره وتطوره و أثره وموازنته بغيره،واقفين عليه مواهبهم ومناهجهم وميزاتهم،مصطنعين لنشره المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات ....فإن نحن طوينا هذا الجهد تنكرنا للأمانة العلمية في البحث عن الحقيقة الموضوعية."[3]

ويقابل هذا الاتجاه المفرط في الثقة ببحوث المستشرقين اتجاه"يحمل"على المستشرقين واتجاهاتهم المغرضة المفرطة في التعصب،ويمثله أحمد فارس الشدياق(1804 م– 1887م)

---

[1] - مصطفى السباعي،السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 222 .

[2] - مصطفى السباعي،المرجع السابق، ص 222، 223.

[3] - نجيب العقيقي،المرجع السابق، ج 01، ص ص 07-08.

المنارة للاستشارات
ww

في كتابه ذيل الفارياق:"إن هؤلاء الأساتيذ(المستشرقين)لم يأخذوا العلم عن شيوخه،وإنما تطفّلوا عليه تطفّلا،وتوثّبوا فيه توثّبا،ومن تخرّج فيه بشيء فإنما تخرّج على القسس،ثم أدخل رأسه في أضغاث أحلام،أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه،وتوهّم أنه يعرف شيئا وهو يجهله،وكل منهم إذا درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء،فما اشتبه عليه منها رقَّعَهُ مِن عنده بما شاء،وما كان بين الشبهة واليقين حدس فيه وخمَّن فرجَّح منه المرجوح،وفضَّل المفضول." [1]

ويسمى هذا الموقف بالموقف"**المتوجس**"؛وهذا لأن الاستشراق في منظور هذا التوجه:"إنما يخدم أجندات مخفية تبرز في معاضدة الاحتلال والتنصير والسياسة،حتى عَدَّه بعضهم-أي الاستشراق-على أنه أحد أجنحة المكر الثلاثة[2]،أو أنه أحد قوى الشر المتحالفة[3]،مثله في ذلك مثل التنصير والاحتلال،بل إن من المفكرين المسلمين من حرم التعاون مع المستشرقين في مراكزهم وجامعاتهم تحريما شرعيا،و حظي هذا الموقف كما يقول نصير الكعبي بعدد كبير من رواد الفكر العربي الإسلامي،أولئك الذين تصاعدت عندهم نزعة معاداة التغريب والغزو الثقافي،فتحول نقد الاستشراق في جزء منه إلى نقد للتغريب و المتغربين في المجتمعات العربية ." [4]

ومن أبرز الواقفين موقف الرفض للاستشراق من رواد الفكر العربي الإسلامي أحمد فارس الشدياق،والأمير شكيب أرسلان ومالك بن نبي ومحمد البهي وعمر فروخ ومحمد

---

[1] - أحمد فارس الشدياق،الساق على الساق في ما هو الفارياق(ذنب الكتاب)،باريس،فرنسا، 1270هـ/ 1855م، ص ص 14 ، 15 .

[2] - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني،أجنحة المكر الثلاثة،ط08،دار القلم،دمشق،سوريا،1420هـ/ 2000م،ص 188.

[3] - محمد محمد الدهان، قوى الشر المتحالفة،دار الوفاء،ط02،المنصورة،مصر،1408هـ/1988م،ص ص 45-92.

[4] - جواد علي، أبحاث في تاريخ العرب في الإسلام،دراسة ومراجعة نصير الكعبي،المركز الأكاديمي للأبحاث،بيروت،لبنان، 2011، ج01،ص ص 65-69.

المنارة للاستشارات
ww

أسد،ومحمد الغزالي[1] ،ومحمود محمد شاكر[2] ،وأبو الحسن علي الندوي،وأنور الجندي[3] ،وعبد الرحمان حسن حبنكة الميداني.[4] وفي الأخير ينتهج مصطفى السباعي سبيل الوسطية والاعتدال اتجاه الاستشراق،فيقول:"وفي الحق أن كُلاًّ من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجَّلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال،وما تطرَّقُوا إليه من أبحاث،ونحن من قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم[5] ويقول الله تعالى:"يَا أَيُّهَآ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلاَّ تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ "[6]

وهكذا تقف فئة ثالثة موقفا وسطا بين الفئتين،وهي الفئة التي اتبعت التفصيل في النقد،وقبلت ما كان مقبولا،ورفضت ما كان مرفوضا،ووزنت كل ذلك بميزان العدل والقسط،وإيمانا بأحقية المؤمن بالحكمة أنّى وجدها،ويغلب على هذه الفئة المتخصصون في مجال الدراسات الاستشراقية،أولئك الذين ناظروا المستشرقين وخالطوهم وأخذوا عنهم

---

[1] - محمد الغزالي،دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،ط07،نهضة مصر للطباعة،القاهرة،مصر، 2005م، ص ص 03-04.

[2] - محمود محمد شاكر ،رسالة في الطريق إلى ثقافتنا،مطبعة المدني،القاهرة،مصر،1407هـ/ 1987م، ص ص48-49.

[3] - أنور الجندي،سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية،ط02،دار الجيل،بيروت،لبنان،1405هـ/ 1985م،ص 16؛ أنور الجندي،السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق،دار الأنصار،القاهرة،مصر،1979م، ص ص 04،03.

[4] - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني،المرجع السابق،ص188؛ علي إبراهيم النملة، الاستشراق بين منحيين،إصدار المجلة العربية،الرياض،السعودية،1434هـ، ص ص 27-29.

[5] - مصطفى السباعي ، المرجع السابق،ص

[6] - سورة المائدة ، الآية رقم : 08.

المنارة للاستشارات
ww

وصبروا على أذاهم وخاطبوهم بلغاتهم[1]،ويذكر من هذه الفئة مصطفى السباعي،ورضوان السيد[2]،ومحمود حمدي زقزوق[3].

3.التأريخ لنشأة الاستشراق وبيان ميدانه :

شغلت قضية نشأة الاستشراق حيزا كبيرا مِن اهتمامات الباحثين المتخصصين في الدراسات الاستشراقية،فما هي الفترة التاريخية التي أرجع إليها الأستاذ مصطفى السباعي نشأة الاستشراق؟ و ماهي المجالات البحثية التي اهتم بها الاستشراق؟

1.3.نشأة الاستشراق وملامحه الأولى:

أكد الباحث مصطفى السباعي تعذُّر تحديد بداية دقيقة للحركة الاستشراقية حيث قال:"لا يُعرف بالضبط من هو أول غربي عُني بالدراسات الشرقية،ولا في أي وقت كان ذلك،ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها،وتثقفوا في مدارسها،وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم،وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم،وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات."[4] وأعطى أمثلة و شواهد تاريخية من أولئك الرهبان قائلا:"ومن هؤلاء الرهبان،الراهب الفرنسي جربرت Jerbert الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام 999م بعد تعلّمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده،وبطرس(المحترم)1092 م – 1156 م وجيراردي كريمون 1114م – 1187 م"[5]

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم،ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة "بادوي" العربية،وأخذت الأديرة والمدارس

---

[1] -علي إبراهيم النملة،المرجع السابق، ص 34.

[2] -رضوان السيد،المستشرقون الألمان :(النشوء التأثير و المصائر)،ط02، دار المدار الإسلامي، بيروت،لبنان،2016م ، ص ص 68-70.

[3] - محمود حمدي زقزوق، الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري،دار المعارف، القاهرة،مصر،1997م، ص 12-15.

[4] - مصطفى السباعي،المرجع السابق، ص 15.

[5] - نفسه، ص 15، 16.

المنارة للاستشارات
ww

العربية تدرس المؤلفات العربية المترجمة إلى اللاتينية،واستمرت الجامعات العربية تعتمد على كتب العرب و تعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون.[1]

وعند البحث نجد أن هناك أحد عشر رأيا في نشأة الاستشراق،منها من يرى أن نشأة الاستشراق بدأت منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم،وهناك من الدارسين من يعيد نشأة الاستشراق إلى ما يزيد عن ألف عام[2]،ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق انتشر في أوربا بصفة جدية بعد فترة الإصلاح الديني حسب ما ذهب إليه الأستاذ محمد البهي.[3]

ويعرج السباعي على مسألة في غاية الأهمية ألا وهي كيفية انتقال المخطوطات إلى أوربا فاعتبرها إغارة حيث قال:"**ويغيرون** على المخطوطات العربية في البلاد العربية الإسلامية،فيشترونها من أصحابها الجهلة،أو يسرقونها من المكتبات العامة،وينقلونها إلى بلادهم ومكتباتهم،وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا،وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلدا،وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم."[4]

ويتضح لنا أن هناك تداعيات عميقة على التراث بعد انتقاله تفريطا من أبناء الأمة،أو كان بسبب"سرقتها"من المكتبات العامة،أسفر عن تبعية أبناء الأمة العربية الإسلامية لكثير من الدول الغربية فيضطر إلى الرحلة وتكبد عناء الأسفار بغية تصوير المخطوطات والاستفادة منها.

وتناول مسألة المؤتمرات الاستشراقية باقتضاب شديد مُرَكِّزًا على المؤتمر الأول،حيث قال :"وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر، عُقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس 1873م،وتتالى عقد المؤتمرات التي تُلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته وما

---

[1] - نفسه،ص 16.

[2] - علي إبراهيم النملة، المرجع السابق،ص23.

[3] محمد البهي ، المبشرون و المستشرقون، ص 11.

[4] - مصطفى السباعي ، المرجع السابق ،ص ص 16 ، 17 .

المنارة للاستشارات

تزال تعقد حتى هذه الأيام."[1] ولكن السباعي لم يذكر الأهداف الحقيقية لمؤتمرات المستشرقين و جداول أعمالها؟ و المشاركين فيها ؟ وما تمخض عنها من قرارات ؟

2.3.ميدان الدراسات الاستشراقية :

انشغل الاستشراق بدراسة اللغة العربية والإسلام،وانتهى بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته و حضاراته و جغرافيته و تقاليده،وأشهر لغاته،وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يُعنى به المستشرقون،نظرا للدوافع الدينية و السياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية. [2]

4. دوافع الاستشراق :

استفتح الباحث مصطفى السباعي دوافع الاستشراق بالدافع الديني، فما هي خلفيات هذا الدافع في منظوره ؟ وهل كان موفقا في ترتيب الدوافع ؟

1.4الدافع الديني:

يؤكد الباحث مصطفى السباعي بأنه لا يوجد أي جهد في الوصول إلى الدافع الديني الذي انطلق منه الاستشراق،لأن بدأ بالرهبان واستمر كذلك حتى عصره،و هؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويُشوهوا محاسنه،ويحرفوا حقائقه،لِيُثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام –وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين – دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفّاكو دماء،يحثهم دينهم على الملذات الجسدية،ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي،ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين،وأخذت تشككهم بكل التعاليم " [3]

ويؤكد وجهة النظر السابقة المتعلقة بالخلفية الدينية التنصيرية للاستشراق في غالبه -التي ذهب إليها مصطفى السباعي- أن هناك عددا من الشواهد التاريخية على ذلك،ومنها أن

---

[1] - نفسه ، ص 17.

[2] - نفسه ،ص ص 17،18.

[3] - مصطفى السباعي ، المرجع السابق ،ص ص 18 ، 19.

المنارة للاستشارات

عشرين من طلائع المستشرقين التسعة والعشرين بين سنتي(938م –1552م)انطلقوا من الكنيسة والرهبنة،ويقول المستشرق يوهان فوك في هذا الصدد :" ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن الكريم واللغة العربية." [1]

2.4.الدافع الاستعماري: لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين و هي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية،لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام،فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها.

وكانت العلاقات حميمة بين المؤسسة الاستعمارية والمؤسسة الاستشراقية [2]

3.4.الدافع العلمي :

استثنى الأستاذ مصطفى السباعي ثلة من المستشرقين الذين"أقبلوا على الاستشراق بدافع مِن حُبِّ الإطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها،وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛لأنه لم يكونوا يتعمدون الدسّ والتحريف،فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق،وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين،بل إنّ منهم مَن اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته،على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يُمكِّنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص؛لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى، لا تلقى رواجا،لا عند رجال الدين،ولا عند رجال السياسة،ولا عند عامة الباحثين،ومن ثمة فهي لا تدرُّ عليهم ربحا ولا مالا؛ ولهذا ندر وُجُود هذا الفئة في أوساط المستشرقين."[3]

وبالفعل،هناك نفر من المستشرقين قاموا بإسهامات واضحة في خدمة التراث العربي الإسلامي،منذ أن استقام عود الاستشراق وتكوَّنت لديه العراقة،وتحوَّل مِن مجرد أداة هدم

---

[1] - يوهان فوك،تاريخ حركة الاستشراق(الدراسات العربية و الإسلامية في أوربة حتى بداية القرن العشرين)،نقله إلى العربية عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، ط02، بيروت،لبنان،2001 م،ص ص 16-20.

[2] - محمد عبد الله الشرقاوي،الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام ،دار البشير، ط02،القاهرة،مصر،1438هـ/ 2017م،ص ص 108-120.

[3] - مصطفى السباعي، المرجع السابق ،ص ص 22 ، 23.

المنارة للاستشارات

إلى ظاهرة لها كيانها ومدارسها وفئاتها ومنطلقاتها وأهدافها،هذا في الوقت الذي تأخرَّ فيه العرب والمسلمون عن خدمة التراث خدمة علمية ومادية،حتى خُشِي على ضياعه بينهم،عندما أصبح في كثير من دور الكُتب قطعا متحفية تباع خفية لمن يدفع أكثر.[1] ومِن الشواهد التي يمكن أن نثري بها وجهة نظر السباعي المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة مؤلفة كتاب شمس العرب تسطع على الغرب،أما مَن اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته فالمستشرق النمساوي محمد أسد أحد الأمثلة على هذا الشريحة،وبخصوص فريق المستشرقين الذين تعرضوا لإحن ومحن في مسار موضوعيتهم وتآليفهم المنصفة للحضارة العربية الإسلامية فنجد المستشرق الألماني يوهان يعقوب ريسكه .

5. تصنيف المستشرقين في منظور الأستاذ مصطفى السباعي :

يمكن تقسيم أصناف المستشرقين بحسب أهدافهم من منظور الأستاذ مصطفى السباعي إلى ثلاثة أقسام :

1.5.صنف استشراقي يحمل هدف علمي مشبوه :

ابتدأ الأستاذ مصطفى السباعي بالصنف الأول من المستشرقين،والذين يهدف إلى التشكيك في صحة"رسالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام،ومصدرها الإلهي،فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من عند الله-جلّ شأنه- و يتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا،وبخاصة عائشة أم المؤمنين-رضي الله عنها-،فمِن المستشرقين من يرجع ذلك إلى"صرع"كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم حينا بعد حين،ومنهم مَن يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي صلى الله عليه وسلم،ومنهم مَن يفسرها بمرض نفسي."[2]وإثراء لهذا التوجه يلحظ الباحث اهتمام المستشرقين منذ وقت مبكر،يعود للعصر الوسيط الأوربي، بدراسة الوحي ومحاولة إيجاد تفسير يلائم هذه الظاهرة،ويتوافق مع التوجهات الاستشراقية الهادفة إلى إبعاد الوحي

[1] - علي إبراهيم النملة،إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي،مكتبة الملك فهد، ط01،الرياض،السعودية،1417هـ/1996م،ص 20.

[2] - مصطفى السباعي، المرجع السابق ،ص ص 23،24.

المنارة للاستشارات
ww

الإسلامي عن حقيقة مصدره الإلهي،وعلى ما يبدو فإن إطلاع بعض المستشرقين على مصادر السيرة النبوية وهي تصف ما يصيب النبي صلى الله عليه وسلم من أعراض أثناء تلقيه الوحي من الأمارات الخارجية التي تبدو على وجهه،فأدت بهم إلى قصور في الفهم[1]،فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولها:"و لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه،و إن جبينه ليتفَصّد عرقا."[2] و عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما:"قلت:يا رسول الله هل تحس بالوحي؟قال: نعم أسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك،وما مِن مَرَّة يُوحى إليّ إلا ظننت أن نفسي تفيض مني."[3] ومن بين المستشرقين الذين تولوا كِبر إشاعة التحامل على مصدر ربانية الوحي النمساوي اشبرنجر(*Sprenger*)في كتابه حياة محمد وتعاليمه.[4]

ولم يكتف المستشرقون بإنكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وسماوية القرآن الكريم،بل تمادوا إلى إنكار أن يكون الإسلام دينا من عند الله وإنما هو"ملفق عندهم من الديانتين اليهودية والمسيحية،وليس لهم في ذلك مستند يؤيده البحث العلمي،وإنما هي ادّعاءات تستند على بعض نقاط الالتقاء بين الإسلام والدينين السابقين." [5]

ويمكن أن نقدم أمثلة استدل بها المستشرقون بغية إثبات دعواهم فيما يطلق عليه بنزعة"التأثير والتأثر" قصة بحيرى الراهب في السيرة النبوية،ولكنها قصة متهافتة،ومن أبرز من نحا هذا المنحى هما المستشرقان جولد تسهير،وشاخت.[6]

---

[1] - مشتاق بشير الغزالي ، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين،ط01، دار النفائس،دمشق،سوريا،1429هـ / 2008م، ص ص 52، 53.

[2] - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية،تحقيق مأمون محمد،مراجعة عبد القادر الأرناؤوط وبشار عواد معروف،دار ابن كثير،دمشق،سوريا،1436هـ/2015م، ج03،ص 214 .

[3] - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج03،ص 216.

[4] - اشبرنجر(1813-1893) : مستشرق نمساوي الأصل، ثم تجنس بالجنسية الإنجليزية ،من أهم مؤلفاته حياة محمد وتعاليمه .أنظر عبد الرحمان بدوي،المرجع السابق، ص ص 28-31.

[5] - مصطفى السباعي ، المرجع السابق ،ص ص 24،25.

[6] -- مصطفى السباعي ، المرجع السابق ،ص ص 25، 26.

المنارة للاستشارات
ww

ولم يسلم المصدر الثاني في التشريع الإسلامي من حملات الإنكار والتشكيك في صحته ألا وهو"الحديث النبوي الشريف الذي اعتمده علماؤنا المحققون،ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دَخل على الحديث النبوي الشريف مِن وضع ودسٍّ،متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره،مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري،مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم."[1] وقد ناقشهم الأستاذ مصطفى السباعي في ذلك نقاشا علميا في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.،و الذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه،ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة .[2]

ولا ننسى قيام هذا الصنف بالترويج للتشكيك في قيمة الفقه الإسلامي الذاتية، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور."[3]،أضف إلى ذلك مخططات الاستشراق الرامية إلى زرع الريبة في قدرة اللغة العربية الفصحى على مسايرة التطور العلمي؛لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا،وتشكيكهم في غنى الأدب العربي،وإظهاره مُجدبا فقيرا لنتجه إلى آدابهم،وذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه."[4]

2.5 . صنف استشراقي يحمل الهدف الديني و السياسي:

ومن أبرز أهداف هذا الصنف "إضعاف روح الإخاء بين المسلمين في مختلف أقطارهم، ومن و سائلها إثارة الخلافات بين شعوبهم." [5]

3.5 . صنف يحمل أهداف علمية خالصة:

[1] - نفسه،ص ص 25، 26.

[2] - نفسه،ص ص 25، 26.

[3] - نفسه ،ص ص 26، 27.

[4] - نفسه ،ص 27.

[5] - نفسه،ص ص 27-28.

المنارة للاستشارات

ww

أنصف الأستاذ مصطفى السباعي الاستشراق الموضوعي الذي عمل على:"دراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم،وهذا الصنف قليل عدده جدا،وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق،إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية،وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها،فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم،ناسين الفروق الطبيعية،والنفسية والزمنية."[1]وهذه الفئة أسلم الفئات الثلاث في أهدافها،وأقلها خطرا؛إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم،ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها،فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع،ولكنهم يلقون عنتا من أصحاب الهدفين السابقين؛إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن المنهج العلمي،أو الانسياق وراء العاطفة،أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم. "[2]

ومن الأمثلة التي قدمها الأستاذ مصطفى السباعي المستشرق البريطاني توماس أرنولد(*Thomas Arnold*)[3]الذي أنصف الفتوحات الإسلامية في كتابه"الدعوة إلى الإسلام"؛فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين،على مخالفيهم معهم،هذا الكتاب الذي يعتبر مِن أدقِّ وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام،يطعن فيه المستشرقون المتعصبون وخاصة المبشرين منهم،بأن مؤلفه كان مندفعا بعاطفة قوية من الحب و العطف على المسلمين، مع أنه لم يذكر فيه حادثة إلا أرجعها إلى مصدرها." [4]

ونلحظ أن الأستاذ مصطفى السباعي-من خلال هذه الفقرة-أنه قد أثنى على أحد مؤلفات الاستشراق البريطاني المنصف للفتوحات الإسلامية عبر شتّى الأزمان والأماكن،والكتاب بعد

---

[1] - مصطفى السباعي ، المرجع السابق ص ص 29.

[2] - نفسه ،ص 30.

[3] - توماس أرنولد : مستشرق إنجليزي متعاطف مع الإسلام،ولد في 1864/04/19م،وتوفي في 1930/06/09 م ،ومن أهم مؤلفاته الدعوة إلى الإسلام، الخلافة،الدين الإسلامي،ومقالات تتعلق بالهند الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية.أنظر : عبد الرحمان بدوي،المرجع السابق،ص ص 09-10.

[4] -مصطفى السباعي ، المرجع السابق ،ص ص 29، 30 .

المنارة للاستشارات
ww

البحث عنه عنوانه الكامل"الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية"[1] للمستشرق البريطاني السير توماس أرنولد،ونظرة فاحصة في فهرسه،وقراءة مُتَمَعِّنَة لمحتوياته تدلُّ على إنصاف المستشرق للتسامح الديني الذي اتسم به الفتح الإسلامي،لذا يعد هذا الكتاب وثيقة تاريخية قيّمة نظرا لغزارة مادّتها،وغنى مصادرها ومراجعها وتنوعها،ودقة التوثيق الذي عُوملت به هذه المادة.[2]

"ومن هؤلاء مَن يُؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط قومهم الغربيين،كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان"دينيه"الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام و أعلن إسلامه،و تسمى باسم"ناصر الدين دينيه"و ألف مع عالم جزائري كتابا عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم،وله كتاب"أشعة خاصة بنور الإسلام"بيَّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله. "[3]

و هذا يعتبر أنموذج ثان في إنصاف و تثمين أحد رواد الاستشراق الفرنسي المسلمين و يحمل كتابه في السيرة النبوية عنوان" محمد رسول الله(صلى الله عليه وسلم)" و قد ألفه مع سليمان بن إبراهيم و قام بترجمته عبد الحليم محمود[4].

6. موازين البحث عند المستشرقين ووسائلهم :

اعتمد المستشرقون على موازين خاصة في البحث التاريخي،وقد اعتنى الأستاذ مصطفى السباعي ببيانها ونقدها ،مع ربطها بالأمثلة والشواهد، ويمكن أن نجمل أهمها في المسارات المنهجية التالية:

---

[1] - توماس أرنولد،الدعوة إلى الإسلام ،ترجمة حسن إبراهيم وآخرون،ط03،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، مصر، 1971 م،ص ص 05، 06

[2] - عماد الدين خليل، "مراجعة كتاب الدعوة إلى الإسلام للمستشرق البريطاني توماس أرنولد"،مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة الثانية عشرة، العدد 46-47 ، 2006/ 2007 م ، ص ص 205-236.

[3] - مصطفى السباعي، المرجع السابق ،ص ص30، 31 .

[4] - اتيين دينيه، محمد رسول الله ، ترجمة عبد الحليم محمود،دار المعارف، القاهرة، مصر، ص ص 08 ، 09.

المنارة للاستشارات
ww

1.6.الاعتماد على التصور المسبق، والروايات الضعيفة والشاذة:

لا ريب أن فعالية ونجاعة المنهج المتبع في أية دراسة تتوقف على قيمة وطبيعة المصادر والروافد المعتمدة،إذ هي القاعدة المغذية،والمادة الخام التي ترتكز عليها الدراسة،فكلما كانت المصادر رئيسة وأصيلة،وذات علاقة مباشرة بالموضوع،كانت الدراسة أقرب إلى حصول المراد المنشود،والمبتغى المقصود للباحث،و في إطار البحث الاستشراقي نلحظ أن هناك منهج متبع يتمثل في انتقاء وتحيز مصادر معينة غير متخصصة[1]،وهذا الأمر أوقعهم في أخطاء منهجية وتاريخية،مما أدى بالأستاذ مصطفى السباعي إلى بيان تهافتها،فما هي أبرز الأخطاء التي وقع فيها المستشرقون بسبب عدم الاعتماد على المصادر الأصيلة؟

وتأسيسا على ما سبق نلحظ أن الأستاذ مصطفى السباعي يقوم ببيان منهجي يؤكد فيها أن جمهرة من المستشرقين اعتمدوا في تحرير أبحاثهم عن تاريخ الشريعة الإسلامية،على ميزان بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي،فمن المعروف أن العالم المخلص يتجرّد عن كل هوى أو ميل شخصي فيما يريد البحث عنه ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها،فما أدت إليه بعد المقارنة والتمحيص كان هو النتيجة المحتمة التي ينبغي اعتقادها.[2]

ولكن على خلاف ما سبق تقريره؛فإن أغلب هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم فكرة معينة يريدون تصيد الأدلة لإثباتها،وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهمهم صحتها بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية،وكثيرا ما يستنبطون الأمر الكلي من حادثة جزئية،ومن هنا كانوا يقعون في مفارقات عجيبة لولا الغرض والهوى لربأوا بأنفسهم عنها ومن الأمثلة التي استشهد بها ما قام به المستشرق جولد تسيهر لإثبات زعمه بأن الحديث النبوي في مجموعه من صنع القرون الثلاثة الأولى للهجرة،وليس من قول الرسول صلى الله عليه وسلم،وادّعى أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في الصدر الأول من الإسلام، وأن الجهل بها و بتاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم كان لاصقا بكبار الأئمة،وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهافتة من مصادر غير متخصصة وليس علاقة

[1] حسن عزوزي،آليات المنهج الاستشراقي، مطبعة آنفو – برانت،فاس، المغرب،2007 م ، ص 19 .

[2] - مصطفى السباعي ، المرجع السابق، ص ص 52، 53.

المنارة للاستشارات

مباشرة بالموضوع ، ومن ذلك ما نقله عن كتاب الحيوان للدميري من أن أبا حنيفة رحمه الله لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل أُحُد أم كانت أحد قبلها![1]

وسرعان ما يقوم الأستاذ مصطفى السباعي ببيان تهافت هذه الدعوى،عبر الرجوع إلى أبجديات البحث العلمي،ألا وهي المصادر الأصيلة، فيذهب بأنه لا ريب في أن أقلَّ الناس اطلاعا على التاريخ يَرُدُّ مثل هذه الرواية،فأبو حنيفة و هو من أشهر أئمة الإسلام الذين تحدثوا عن أحكام الحرب في الإسلام حديثا مستفيضا في فقهه الذي أُثِر عنه،وفي كتب تلامذته الذين نشروا علمه كأبي يوسف ومحمد،يستحيل على العقل أن يصدق بأنه كان جاهلا بوقائع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وهي التي استمد منها فقهه في أحكام الحرب،وحسبنا أن نذكر هنا كتابين في فقهه في هذا الموضوع يعتبران من أهم الكتب المؤلفة في التشريع الدولي في الإسلام: أولهما كتاب "الرد على سير الأوزاعي" لأبي يوسف، ثانيهما كتاب "السير الكبير" لمحمد رحمه الله وقد شرحه السرخسي،وهو من أقدم و أهم مراجع الفقه الإسلامي في العلاقات الدولية،وقد طبع أخيرا تحت إشراف جامعة الدول العربية برغبة من جمعية محمد بن الحسن الشيباني للحقوق الدولية.[2]

"وفي هذين الكتابين يتضح إلمام تلامذة الإمام أبي حنيفة وهم حاملو علمه بتاريخ المعارك الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم و عهد خلفائه الراشدين. وجولد تسيهر لا يخفى عليه أمر هذين الكتابين ،وكان بإمكانه لو أراد الحق أن يعرف ما إذا كان أبو حنيفة جاهلا بالسيرة أو عالما بها من غير أن يلجأ إلى رواية"الدميري" في"الحيوان"وهو ليس مؤرخا و كتابه ليس كتاب فقه ولا تاريخ،وإنما يحشر فيه كل ما يرى إيراده من حكايات ونوادر تتصل بموضوع كتابه من غير أن يعني نفسه البحث عن صحتها،ولا يخفى ما كان بين أبي حنيفة و معاصريه ومقلديهم من عداء منهجي فكري،وقد كان هذا العداء مادة دسمة لرواة الأخبار ومؤلفي كتب الحكايات والنوادر لنسبة حوادث وحكايات منها ما يرفع من شأن أبي

[1] - مصطفى السباعي ، المرجع السابق، ص ص 53 ، 54 .

[2] - نفسه ،ص ص 54 ، 55 .

المنارة للاستشارات

ww

حنيفة،ومنها ما يضع من سمعته، وأكثرها ملفّق موضوع للمسامرة و التندر من قبل مُحبيه أو كارهيه على السواء، مما يجعلها عديمة القيمة العلمية في نظر العلماء و الباحثين.[1]

فجولد تسهير أعرض عن كل ما دُوِّن من تاريخ أبي حنيفة تدوينا علميا ثابتا،واعتمد رواية مكذوبة لا يتمالك طالب العلم المبتدئ في الدراسة من الضحك لسماعها ، ليدعم بذلك ما تخيله من أن السنة النبوية من صنع المسلمين في القرون الثلاثة الأولى.[2]

2.6. إشكالية الفهم عند المستشرقين :

و يتعلق هذا الإشكال بالمستشرق جولد تسهير أيضا ؛ فقد أعرض عما أجمعت عليه كتب الجرح والتعديل و كتب التاريخ من صدق الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله ت 124 هـ ، وورعه وأمانته ودينه،و زعم أن الزهري لم يكن كذلك بل كان يضع الحديث للأمويين،وهو الذي وضع حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد لعبد الملك بن مروان، وكل حجته أن هذا الحديث من رواية الزهري و أن الزهري كان معاصرا لعبد الملك بن مروان،وقد ناقش السباعي هذا الزعم مناقشة مفصلة في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.[3]

ويحاول المستشرقون أن يؤكدوا تعالي العرب الفاتحين عن المسلمين الأعاجم وانتقاصهم من مكانتهم،وفي ذلك يقول المستشرق بروكلمان في كتابه"تاريخ الشعوب الإسلامية":"وإذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين،فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية أي القطيع،وجمعها رعايا كما يدعوهم تشبيه سامي قديم كان معروفا حتى عند الآشوريين."[4]

فهذا المستشرق قد أعرض عن جميع الوثائق التاريخية التي تؤكد عدالة الفاتحين المسلمين ومعاملتهم أفراد الشعب على السواء من غير تفرقة بين عربي وغيره،و تعلق بلفظ " الرعية" تعلقا لغويا و استنتج منها أن المسلمين نظروا إلى الأعاجم نظرة القطيع من الغنم،و لو رجعنا

---

[1] - نفسه ، ص ص 55، 56 .

[2] - نفسه ، ص56.

[3] - مصطفى السباعي ، المرجع السابق ، ص ص 56 ، 57 .

[4] - نفسه، ص ص 57 .

المنارة للاستشارات
ww

إلى مادة رعى في قواميس اللغة وجدناها تقول كما في القاموس المحيط : والراعي كل ولي أمر قوم،والقوم رعية،وراعيته: لاحظته مُحسنا إليه،وراعيت أمره : حفظته،كرعاه.[1]

فالراعي في اللغة يطلق على راعي الغنم،وعلى رئيس القوم وولي أمرهم،والرعية تطلق على الماشية،و تطلق على القوم،ومن معاني الرعاية: الحفظ والإحسان .[2]

فلما أطلقها الإسلام على القوم لم يخص بها الأعاجم ليشير إلى أنه يراهم كالقطيع من الغنم، وإنما أطلقها على الشعب عامة،والأحاديث النبوية في ذلك كثيرة معروفة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره:"ألا كلكم راع،وكلكم مسؤول عن رعيته" [3]

3.6. مسلك الافتراض عند المستشرقين : انساق المستشرقون المعاصرون مع أسلافهم في إتباع منهج الشك والمبالغة في إثارة الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة،والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن و علومه،واعتمدوا في ذلك على طريقة انتقاء مغرضة و هادفة إلى ما يصبون إليه من نتائج عكسية،كما أن عدم ثقتهم في صحة النص القرآني دفعهم إلى الشك في أمانة نقله وسلامة تبليغه إضافة إلى الشك في جمعه وترتيبه.[4]

زعم المستشرق مايور ما نقله عنه مرجليوث أن أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان فلا يبعد أن النبي صلى الله عليه وسلم مارس هذا الفن حتى نبغ فيه،وهذا يعطينا صورة عن موازين البحث عند هؤلاء،فالمسألة عنده تقوم على استنتاج وهمي من أمر لم يقع،فلا العرب كانوا يتعلمون البلاغة،ولا كانت لهم المدارس و الأساتذة يضعون القواعد لها،ولا النبي صلى الله عليه وسلم عُرف عنه قبل النبوة فعل ذلك،وليس

[1] - نفسه، ص ص 57 ، 58

[2] - نفسه ، ص 58.

[3] - نفسه ، ص58،59 .

[4] حسن عزوزي،آليات المنهج الاستشراقي، مطبعة آنفو – برانت،فاس، المغرب،2007 م ، ص 15 .

المنارة للاستشارات
ww

بين أيدينا نص واحد يثبته،بل المؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُنقل عنه أثر من نثر أو شعر قبل النبوة وقبل أن يتنزل عليه القرآن الكريم.[1]

وإثراء لما قاله الأستاذ مصطفى السباعي؛ فإنه عند البحث عن سيرة هذا المستشرق،فإننا نجد حقائق،أولا ينتمي هذا المستشرق إلى المدرسة الاستشراقية البريطانية واسمه الكامل وليم مايور[2] (William Muir)وهو مستشرق ومبشر وموظف إداري،وكان شديد التعصب للمسيحية،واشترك بحماسة في أعمال التبشير في الهند،و نشر عدة مقالات في مجلة كلكتا،تناول فيها تاريخ العرب قبل الإسلام،ومصادر السيرة النبوية وحياة النبي-صلى الله عليه وسلم- حتى الهجرة وكلها كتبها بروح متعصبة خالية من الموضوعية،ومن أجل هدف تبشيري خبيث.[3]

4.6. وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم :

ذكر الأستاذ مصطفى السباعي عدة وسائل، استخدمها المستشرقون لنشر أبحاثهم، وبث آرائهم ،فما هي هذه الوسائل؟وما هي الوسيلة التي عاصرها الأستاذ مصطفى السباعي ؟ وما هي محتوياتها ،وكيف وظفها المستشرقون؟

تتعدد الوسائل التي استخدمها المستشرقون، ومنها تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته،ورسوله عليه الصلاة السلام،وقرآنه الكريم،وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو ابتسارها،وفي فهم الوقائع التاريخية،والاستنتاج منها،بالإضافة إلى إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام و بلاده وشعوبه،وتوظيف إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالا إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ والمياتم،ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها.ولا ننسى إلقاء المحاضرات في الجامعات،والجمعيات العلمية،ومن المؤسف أن

1- مصطفى السباعي ، المرجع السابق ، ص

2 - وليم مايور: 1819-1905.

3- عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص

المنارة للاستشارات

أشدهم خطرا وعداء للإسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية في القاهرة ودمشق و بغداد والرباط و كراتشي ولاهور و عليكرة و غيرها ليتحدثوا عن الإسلام ![1]

كما عكف بعض المستشرقين على كتابة المقالات في الصحف المحلية العربية،وقد استطاعوا شراء عدد منها،وقد استدل الأستاذ مصطفى السباعي -في هذا الصدد- بما جاء في كتاب التبشير والاستعمار للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي،وهو من أهم الوثائق التاريخية عن نشاط المستشرقين والمبشرين لخدمة الاستعمار،والذي جاء فيه ما يلي: "إنهم يريدون أن يجعلوا من هؤلاء الطلاب نصارى بالفعل أو ممالئين للنصرانية.وتطيب هذه الفكرة للمستشرق المبشر وللمستشار الشرقي في وزارة المستعمرات الفرنسية لويس ماسينيون، فيدبّج المقالات الطوال ويقول لقومه: إن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يُلوَّنُوا بالمدنية المسيحية."[2] ولم يتوان المستشرقون في عقد المؤتمرات لإحكام خططهم في الحقيقة ،...وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام 1783 م حتى الآن.[3]

ومن الوسائل التي عاصرها واطلع على إصدارها الأول إنشاء الموسوعات، والمعروفة ب"دائرة المعارف الإسلامية"،وقد أصدروها بعدة لغات،...وقد اطلع الأستاذ السباعي على الأجزاء الأولى للطبعة الثانية من سكرتير الموسوعة حين زار أكسفورد عام 1956م،وقال عنها:"وفي هذه الموسوعة التي حُشِد لها كبار المستشرقين و أشدّهم عداء للإسلام،قد دسّ السم في الدسم،وملئت بالأباطيل عن الإسلام و ما يتعلق به،ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين عندنا بحيث يعتبرونها حُجَّة فيما نتكلم به،وهذا من مظاهر الجهل بالثقافة الإسلامية وعقدة النقص عند هؤلاء المثقفين."[4]

وإثراء لهذا الوسيلة المهمة والخطيرة التي عرج عليها الأستاذ مصطفى السباعي،فنقول أن دائرة المعارف الاستشراقية هي مجموعة من المقالات والبحوث المتعلقة بالإسلام والمسلمين

---

[1] - مصطفى السباعي، المرجع السابق ،ص ص88 ، 89 .

[2] - نفسه ، ص ص 88 ، 89 .

[3] - نفسه ،ص 33

[4] - نفسه ،ص ص 33 ، 34 .

المنارة للاستشارات

ww

بأقلام كبار المستشرقين،بدأت فكرتها عندما شعروا في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائرة معارف لأعلام العرب والإسلام،لكي تجمع شتات دراساتهم عنهم باللغات الثلاث: الألمانية والفرنسية والإنجليزية،فدعوا إليها في سنة 1895م،وكلَّفوا هوتسما بإنشائها ومطبعة ليدن بإصدارها،وتولى نشرها دار بريل الهولندية،واستعين بالمجامع ومؤسسات نشر العلم في أوربا قاطبة للإنفاق عليها،وتحتوي على كثير من المطاعن في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. [1] وقال محمد رشيد رضا عنها:"إن في هذه الدائرة عيوبا علمية وتاريخية،أهمها:أنها لم تُكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها،بل لأجل بيان آرائهم وأهوائهم،والإعلام بما سبق لهم ولعلمائهم فيها من بحث وطعن في كُتبهم ورسائلهم المتفرقة . " [2]

كما قام مصطفى السباعي بتذييل كتابه باقتباسات متنوعة من كتاب المستشرقون والمبشرون في موقفهم من الإسلام للأستاذ محمد البهي،وتحتوي على تراجم لأخطر المستشرقين المعاصرين وأهم كتبهم و بأهم المجلات التي يصدرها المستشرقون في الدول الاستعمارية الكبرى . [3]

7.شاهد العصر الأستاذ مصطفى السباعي ومهمة الحوار مع المستشرقين وجها لوجه:

انفرد الأستاذ مصطفى السباعي عن كثير من الباحثين المتخصصين-خلال التاريخ الحديث والمعاصر- في نقد الحركة الاستشراقية بقيامه برحلة علمية عام 1956م،وهذا بتكليف من الجامعة السورية إلى أوربا،زار من خلالها عددا من الجامعات الأوربية، ولم يكتف بهذا فحسب بل بادر إلى إجراء حوارات و نقاشات مع عدد من رواد المدارس الاستشراقية؟فما هي أبرز الجامعات الأوربية التي زارها؟وما هي أبرز المحاور الفكرية التي دار حولها النقاش؟

1.7 . مصطفى السباعي وحواراته مع رواد المدرسة الاستشراقية الانجليزية :

1 - خالد بن عبد الله القاسم،مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية،دار الصميعي،الرياض،السعودية،1431 هـ/ 2010 م ، ص ص 54 ، 58.

2 أنور الجندي ، سموم الاستشراق والمستشرقين،دار الجيل ،بيروت،لبنان،1405هـ/1985م، ص 19.

3- مصطفى السباعي، المرجع السابق ،ص ص 34- 52.

المنارة للاستشارات

كانت المحطة الأولى للأستاذ مصطفى السباعي في رحلته العلمية معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن،حيث التقى بالبروفسور أندرسون،وهو متخرج من كلية اللاهوت في جامعة كمبردج،وكان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية كما حدثه بذلك المستشرق نفسه،ولقد تعلم اللغة العربية التي كان يُلقيها بعض علماء الأزهر في الجامعة الأمريكية في القاهرة،كما تعلم العامية المصرية من اختلاطه بالشعب المصري حين توليه عمله العسكري،وتخصص في دراسة الإسلام من المحاضرات العامة التي كان يُلقيها أحمد أمين،طه حسين ، ثم انتقل من الخدمة العسكرية بعد الحرب إلى رئاسة قسم قوانين الأحوال الشخصية في جامعة لندن.[1]

ولقد ساق الأستاذ مصطفى السباعي مثالا يدل على تعصبه ضد الإسلام أقر به المستشرق نفسه،و هو أنه "أسقط-أي أندرسون- أحد المتخرجين من الأزهر الذين أرادوا الحصول على شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعة لندن،لسبب واحد هو أنه قدّم أطروحته عن حقوق المرأة في الإسلام،وقد برهن فيها على أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة."[2]،أما في جامعة أكسفورد فرئيس قسم الدراسات الإسلامية و العربية فيها يهودي يتكلم العربية ببطء وصعوبة،وكان يعمل أيضا في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية و هناك تعلم العربية العامية،ثم عاد إلى بلاده انجلترا ليرأس هذا القسم في جامعة أكسفورد،ومن العجيب الذي رآه في منهاج دراسات هذا المستشرق التي يلقيها على طلاب الاستشراق :تفسير آيات من القرآن الكريم من الكشاف للزمخشري- وهو لا يُحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية- ودراسة أحاديث من البخاري ومسلم،وأبواب من الفقه في أمهات كتب الحنفية والحنابلة،وعندما سأله عن مراجع هذه الدراسة،أخبره أنها من كتب المستشرقين أمثال جولدتسيهر ،ومرجليوث،وشاخت،وحسبك بهؤلاء عنوانا على الدراسات المدخولة المدسوسة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين.[3]

---

[1] - نفسه ، ص ص 64، 65 .

[2] - مصطفى السباعي،المرجع السابق،ص65 .

[3] - نفسه ،ص67.

المنارة للاستشارات

ww

أما في جامعة كمبردج فكانت رئاسة قسم الدراسات العربية والإسلامية فيها للمستشرق المعروف آربري واختصاصه في اللغة العربية فحسب،وقد أقر هذا المستشرق في أحاديثه مع مصطفى السباعي بأخطاء المستشرقين بقوله:"نحن المستشرقين نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الإسلام،ومن الواجب أن لا نخوض في هذا الميدان لأنكم –أنتم المسلمين العرب- أقدر منها على الخوض في هذه الأبحاث."[1]ويعقب الأستاذ مصطفى السباعي على هذا الاعتراف بقوله:"و ربما قال هذا مجاملة أو اعتقادا منه بصحته."[2]

و لما نرجع إلى ترجمة آربري (Arthur John Arberry)[3] في كتاب موسوعة المستشرقين لعبد الرحمان بدوي يتضح لنا أنه كان منصفا إلى حد بعيد للإسلام ،وهذا بعد تَحَوُّله عن مهمة إصدار"منشورات الدعاية البريطانية في الشرق الأوسط"[4]،وبداية صفحة جديدة في إنصاف الشرق بقوله:"قبل أن يتيسر إقرار الحق عن الشرق و شعوبه في الضمير المشترك للغرب،ينبغي إزالة حشد هائل من الباطل وسوء الفهم و الأكاذيب المتعمدة،وإنه لجزء من واجب المستشرق ذي الضمير الحي القيام بهذه الإزالة."[5]وقد أبلى آربري في هذا السبيل خير بلاء،يشهد على ذلك إنتاجه:مِن كُتب وتحقيقات لمخطوطات وترجمات،ومقالات علمية ممتازة،كما أنه أخذ على عاتقه القيام بترجمة مفسرة للقرآن،وهي حسب عبد الرحمان بدوي :"تُعطي المعنى في أسلوب رشيق جميل،دون التَقَيُّد بحرفية الآيات ولا تسلسل تركيبها اللغوي،إنها أجمل في القراءة من أية ترجمة أخرى للقرآن إلى أية لغة،لكنها لا تُغني عن الترجمات الدقيقة مثل ترجمة رودول Rodwell الإنجليزية،أو ترجمة بلاشير الفرنسية،و مع ذلك فهي مِن أَجَلِّ أعمال الاستشراق،وأعظم إنتاج آربري."[6]

---

[1] - نفسه ،ص68.

[2] - نفسه ،ص68.

[3] - مستشرق بريطاني برز في التصوف،والأدب الفارسي،ولد في 1905/05/12 م، و توفي في 1969/10/02 م . عبد الرحمان بدوي: المرجع السابق، ص 06 .

[4] - عبد الرحمان بدوي،المرجع السابق،ص 06 .

[5] - نفسه،ص 06 .

[6] - عبد الرحمان بدوي،المرجع السابق،ص 06 .

المنارة للاستشارات
ww

وفي"مانشستر"اجتمع السباعي بالبروفسور روبسون،وله كتابات في تاريخ الحديث، يتفق فيها غالبا مع آراء المستشرقين المتحاملين،وقد حرص على أن يبين له أن الدراسات الاستشراقية السابقة فيها تحامل وبُعد عن الحقيقة،وتعرض على وجه الخصوص إلى الأخطاء التاريخية والعلمية التي وقع فيها المستشرق جولد تسيهر .[1]

2.7. الأستاذ مصطفى السباعي و المدرسة الاستشراقية الاسكتلندية :

أما المحطة الثانية فهي جامعة أدنبره الاسكتلندية،وكان المستشرق الذي يرأس الدراسات الإسلامية فيها قسيسا بلباس مدني،أما في جامعة جلاسكو الاسكتلندية أيضا،فكان رئيس الدراسات العربية فيها قسيسا عاش رئيسا للإرسالية التبشيرية في القدس،قرابة عشرين سنة حتى أصبح يتكلم العربية كأهلها.[2]

3.7. الأستاذ مصطفى السباعي وحواره في جامعة ليدن الهولندية:

اجتمع الأستاذ مصطفى السباعي بالمستشرق الألماني اليهودي شاخت(Joseph Schacht)[3]في جامعة ليدن بهولندا،و"هو الذي يحمل رسالة جولد تسيهر في الدّس على الإسلام والكيد له وتشويه حقائقه."ولقد جرت مباحثة بينهما حول أخطاء جولد تسيهر،وتعمده تحريف النصوص التي ينقلها عن كتب المسلمين،ولكن شاخت في البداية أنكر هذا الأمر،فضرب له الأستاذ السباعي مثلا واحد مما كتبه جولد تسيهر في تاريخ السنة، فأقر بذلك شاخت، و من القضايا التي دار حولها النقاش أيضا بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك بن مروان.

ويقول الأستاذ مصطفى السباعي:"إن جولد تسيهر هو مؤسس المدرسة الاستشراقية التي تبني حكمها في التشريع الإسلامي على وقائع التاريخ نفسه،فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين

---

[1] - مصطفى السباعي، المرجع السابق ، ص68.

[2] - نفسه ، ص66 .

[3] - جوزيف شاخت: مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي،ولد في 15 مارس 1902 في ألمانيا، و من مؤلفاته:بداية الفقه الإسلامي،و توفي في 1969/08/01 . عبد الرحمان بدوي ، المرجع السابق، ص 366 – 368 .

المنارة للاستشارات
ww

تكلم عن الزهري؟ وكيف جاز له أن يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى إرضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير؟ مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سنوات من مقتل عبد الله بن الزبير؟ و هنا اصفر وجه شاخت وأخذ يفرك يدا بيد،وبدا عليه الغيظ والاضطراب ،فأنهيت الحديث معه ،بأن قلت له: لقد كانت مثل هذه الأخطاء كما تسميها أنت تشتهر في القرن الماضي،ويتناقلها مستشرق منكم عن آخر على أنها حقائق علمية،قبل أن نقرأ نحن المسلمين تلك المؤلفات إلا بعد موت مؤلفيها،أما الآن فأرجو أن تسمعوا منا ملاحظاتنا على أخطائكم لتصححوها في حياتكم قبل أن تتقرر كحقائق علمية." [1] ومن الملاحظ أن هذا المستشرق كان يدرس في جامعة القاهرة فؤاد سابقا و له مؤلف في تاريخ التشريع الإسلامي كله دسٌّ وتحريف على أسلوب شيخه جولد تسيهر ! [2]

يتبين لنا من خلال هذا الحوار الذي أجراه الأستاذ مصطفى السباعي مع المستشرق جوزيف شاخت،أنه ركَّزَ فيه على المستشرق جولدتسيهر؛ لأن شاخت يعتبر من أشد المعجبين بالمستشرق المجري جولد زيهر وهو يهودي معروف،يعد من أساطين الاستشراق،وقد سار شاخت على خطاه في بحوثه حول السنة النبوية،بل كان أكثر شراسة وقسوة منه على التراث الإسلامي،ويعد شاخت من المستشرقين الغزيري الإنتاج،ويظهر هذا جليا لمن يدقق في القائمة التي جمعها روبير برونشفج[3]،والسرد الذي قام به نجيب العقيقي[4]،ولعل أبرز كُتبه هي أصول الفقه المحمدي،ومدخل إلى الفقه الإسلامي،وتحريره لبعض المواد في دائرة المعارف في طبعتيها القديمة والجديدة، وتتسم دراساته بالتحيز

---

[1] - مصطفى السباعي ، المرجع السابق ، ص 70.

[2] - نفسه ، ص 71.

[3] - روبير برونشفج : مستشرق فرنسي متخصص في تاريخ تونس،وفي تاريخ الفقه الإسلامي، ولد في 1901/10/06م ، و من أهم مؤلفاته هو رسالة الدكتوراه و عنوانها : "بلاد البربر الشرقية في أثناء حكم الدولة الحفصية منذ بدايتها حتى نهاية القرن 15م" ، وتوفي في 1990/02/16 م . عبد الرحمان بدوي،المرجع السابق،ص 92 – 96 .

[4] -

المنارة للاستشارات
ww

العنصري في المسلمات الأولية،والانتقائية في استخدام المصادر ،والشك غير المنهجي،وإهمال الأدلة المضادة،والتفسير المتعسف للنصوص،والتعميم الفاسد.[1]

4.7. الحقائق المستخلصة من الرحلة العلمية إلى كراسي الدراسات الاستشراقية الأوربية:

استخلص الأستاذ مصطفى السباعي جملة حقائق هامة من هذه الرحلة العلمية،و تتمثل أهمها في أن المستشرقين في جمهورهم لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيسا أو استعماريا أو يهوديا، وقد يشذ عن ذلك أفراد. كما أن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية كالدول الاسكندينافية أضعف منه عند الدول الاستعمارية.و سجل أن المستشرقين المعاصرين في هذه الدول-أي غير الاستعمارية- يتخلون عن جولدتسيهر و أمثاله المفضوحين في تعصُّبهم. كما أن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام و تشويه لسمعة المسلمين. ففي فرنسا لا يزال " بلاشير" و " ماسينيون" و هما شيخا المستشرقين الفرنسيين يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين في شؤون العرب والمسلمين .[2]

الخاتمة:

- يحتوي كتاب"الاستشراق والمستشرقون"للأستاذ مصطفى السباعي على درر ونفائس من المعلومات،والتي ترصد تأريخا للساحة الثقافية التي عرفتها مصر ،وما عرفته من مساجلات فكرية حول الظاهرة الاستشراقية.
- تفاوتت ردود الأفعال الفكرية العربية ما بين منبهر مثني ثناءا مطلقا على الآراء الاستشراقية،وفي المقابل توجه رافض متوجس من الآراء الاستشراقية محذر من التبعات الوخيمة لها وارتباطاتها المشبوهة بالتبشير والاستعمار،ولكن أوسط الآراء وأقومها هو التحليل و النقد بغية الاستفادة من المنتج العلمي الاستشراقي المفيد، و دحض الآراء السلبية .

---

[1] -

[2] - مصطفى السباعي، المرجع السابق،ص

المنارة للاستشارات

ww

- توافقت آراء مصطفى السباعي في مسألة انتحال كثير من المفكرين العرب لآراء الاستشراق و ترويجها مع فحول النقد و بالتالي لم يكن متحاملا في نقده بل يعتمد على الحجة والبينة والبرهان،وهذا ما شهد به الأستاذ أحمد أمين الذي كانت كتبه محل نقد وتعقيب من الأستاذ مصطفى السباعي.
- يكتسي كتاب الاستشراق والمستشرقون للأستاذ السباعي أهمية كبرى في الدراسات التاريخية الاستشراقية ؛ لأنه يعتبر وثيقة تاريخية وشهادة قيمة لشاهد على العصر، قام برحلات علمية لكبرى الجامعات الأوربية التي تتواجد فيها كراسي الاستشراق يتولى التدريس فيها رواد المستشرقين و منهم منصف ، وآخر مجحف .
- أبدى الأستاذ مصطفى السباعي إنصافا إزاء الاستشراق المنصف للتاريخ الإسلامي و تجسد هذا في نظرته لكتاب الدعوة للإسلام للمستشرق الانجليزي توماس أرنولد ، وكذلك الأمر نفسه بالنسبة للمستشرق الفرنسي المسلم دينيه مؤلف كتاب "أشعة خاصة بنور الإسلام"
- بعد البحث والتمحيص لم نجد مصطفى السباعي متحاملا على الاستشراق بل موقفه يتسم بالموضوعية و الاستناد إلى الحجة والبينة في النقد العلمي و هذا ما أقرَّ به مخالفوه على غرار أحمد أمين و المستشرق شاخت وآربري
- تبين لنا من البحث أثر الآراء العلمية لأساتذة الأزهر و رواد الإصلاح والتحقيق على الخلفية الفكرية للأستاذ مصطفى السباعي و من بينهم الأستاذ ووزير الأوقاف المصري محمد البهي،والشيخ محمد رشيد رضا، والمحقق محب الدين الخطيب.
- توافقت آراء الأستاذ مصطفى السباعي مع فحول النقاد والمحققين في مسألة إثبات انتحال طه حسين لآراء المستشرقين المتعلقة بالشعر الجاهلي ،وكذلك في الأحكام والتقاويم التي أصدرها في حق المستشرق مرغليوث،ووليم موير ، وجولد تسيهر .
- أرّخ الأستاذ مصطفى السباعي زيارته لجامعات أوربا عام 1956 م التي ناقش منها عددا من المستشرقين على اختلاف انتماءاتهم ومشاربهم،
- إن خاصية المعاصرة والمشافهة لرواد المستشرقين التي تميز بها الأستاذ مصطفى السباعي تجعل مؤلفاته تتبوأ مكانة علمية سامقة عن غيرها من الدراسات و الأبحاث،فليس الخبر كالمعاينة.

المنارة للاستشارات
ww

و من أهم الاقتراحات التي يجدر الإشارة إليها هي:

- ضرورة تكثيف الجهود العلمية بين مخابر البحث العلمية و المفكرين والكتاب العرب المسلمين على اختلاف تخصصاتهم البحثية بغية إنجاز دائرة معارف بديلة تحمل عنوان"دائرة معارف إسلامية أصيلة"أو"معلمة الإسلام" أو "موسوعة إسلامية" تحتوي على مقالات وبحوث في شتى العلوم والمعارف من شأنها تنقيح وتمحيص آراء دائرة المعارف الاستشراقية.
- ولا ننسى فتح أبواب الحوار المثمر والنقاش العلمي مع المفكرين والباحثين الغربيين في الدراسات الاستشراقية.

قائمة المصادر و المراجع :

أولا : المصادر:

- أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق مأمون محمد، مراجعة عبد القادر الأرناؤوط وبشار عواد معروف، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 1436هـ/2015م.

ثانيا : المراجع :

الكتب :

- أسد ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988م.
- أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة جسن إبراهيم وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، ط03، القاهرة، مصر، 1971 م.
- بدوي عبد الرحمان، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، ط01، بيروت، لبنان، 1979م.
- البهي محمد، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر، الجامع الأزهر، الإدارة العامة للثقافة الإسلامية، مصر ، د.ت.
- الجبوري يحيى وهيب، المستشرقون والشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، لبنان، 1997م.

المنارة للاستشارات

ww

- جولدتسيهر إيجناس ،العقيدة والشريعة في الإسلام،ترجمة محمد يوسف موسى و آخرون،المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر،2013..
- الجندي أنور،سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية،دار الجيل،ط02، بيروت،لبنان، 1405هـ/ 1985م.
- الجندي أنور،السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق،دار الأنصار،القاهرة،مصر،1979م.
- أنور الجندي،المساجلات والمعارك الأدبية ، مكتبة الآداب،القاهرة ،مصر،1429هـ/2008م.
- مرغيلوث ديفيد صمويل ، أصول الشعر العربي، ترجمة وتعليق ودراسة إبراهيم عوض، دار الفردوس، 1427هـ/ 2006م.
- السباعي مصطفى،من روائع حضارتنا،دار الوراق،ط01، بيروت،لبنان، 1420هـ/ 1999م.
- السباعي مصطفى،السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،دار السلام،ط 03 ،القاهرة،مصر،1427هـ/ 2006 م.
- السباعي مصطفى،المرأة بين الفقه و القانون،دار الوراق، ط07،الرياض،السعودية،1420هـ/ 1999م.
- السباعي مصطفى،الاستشراق والمستشرقون،دار السلام، ط04، القاهرة ، مصر ، 1434هـ/ 2013م.
- السباعي مصطفى،السيرة النبوية دروس وعبر،المكتب الإسلامي،بيروت،لبنان،1405هـ/ 1985.
- الرافعي محمد صادق، تحت راية القرآن،دار الكتاب العربي، ط07،مصر، 1394هـ/ 1974 م.
- الشدياق أحمد فارس،الساق على الساق في ما هو الفارياق(ذنب الكتاب)، باريس،فرنسا، 1270هـ/ 1855م.
- علي جواد،أبحاث في تاريخ العرب في الإسلام،دراسة ومراجعة نصير الكعبي،المركز الأكاديمي للأبحاث،بيروت،لبنان، 2011م.

المنارة للاستشارات
ww

- الغزالي محمد،دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،نهضة مصر للطباعة ، ط07، القاهرة،مصر، 2005م.
- شاكر محمود محمد ،رسالة في الطريق إلى ثقافتنا،مطبعة المدني،القاهرة ، مصر، 1407هـ / 1987م.
- الميداني عبد الرحمان حسن حبنكة ، أجنحة المكر الثلاثة،دار القلم،ط08 ، دمشق،سوريا،1420هـ / 2000م.
- السيد رضوان: المستشرقون الألمان، النشوء التأثير والمصائر، دار المدار الإسلامي،ط02، بيروت،لبنان،2016م.
- زقزوق محمود حمدي،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المعارف، القاهرة،مصر،1997م.
- فوك يوهان ، تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية و الإسلامية في أوربة حتى بداية القرن العشرين،نقله إلى العربية عمر لطفي العالم،دار المدار الإسلامي،ط02 ، بيروت،لبنان، 2001 م.
- الشرقاوي محمد ،الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام،دار البشير، ط02،القاهرة،مصر،1438هـ/ 2017م.
- النملة علي إبراهيم ،إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي،مكتبة الملك فهد، ط01 ،الرياض،السعودية،1417هـ /1996م.

الموسوعات :

- بدوي عبد الرحمن ،موسوعة المستشرقين،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط05، بيروت،لبنان، 2015م.

المقالات :

- عماد الدين خليل،"مراجعة كتاب الدعوة إلى الإسلام للمستشرق البريطاني توماس أرنولد"،مجلة إسلامية المعرفة،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،السنة الثانية عشرة،العدد 46-47 ، 2006/ 2007 م.

المنارة للاستشارات
ww